

## أهمية الأرشيف العثماني بالجزائر في الكتابات التاريخية.

أ. ناير مختار

جامعة وهران 1. أحمد بن بلة

تكونت الوثائق الأرشيفية العثمانية بالجزائر نتيجة تسجيلات مستمرة لأوامر وتعليمات وملاحظات كانت تصدر عن حكام الإيالة وموظفي البايليك أو ترد عليهم من سلاطين الباب العالي وموظفيه، كما كان قسم منها ناتج عن نشاط وكلاء الإيالة بالخارج أو قناصل وتجار الدول الأوروبية المقيمين بالجزائر، وقد ترتبت عن طبيعة تكوين هذه الوثائق الأرشيفية تداخل المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كثير من هذا الأرشيف، مما جعل الرجوع إليه أمرا مهما وذا فائدة، بحيث لا يمكن الاستغناء عن أية وثيقة أرشيفية منها.

وعلى كل فإن الأرشيف العثماني المتعلق بالجزائر سواء منه الموجود حاليا بالجزائر، أو المحفوظ باسطنبول أو المودع بالأرشفات الأوروبية، قد اكتسب أهمية خاصة لكونه يشكل المصدر الأساسي لكتابة تاريخ هذه الفترة، فهو يقدم للباحث والمؤرخ المادة الخام، ويشكل في نفس الوقت العمود الفقري في عمل تاريخي يرمي إلى إعادة بعث ماضي الجزائر العثمانية حسبما تتطلب الحقيقة التاريخية وتقتضيه النظرة الموضوعية.

وقد تأكد أهمية هذا الأرشيف بصفة خاصة من كون العهد العثماني بالجزائر كان يتميز عموما بقلة الإنتاج التاريخي المخطوط مع توفر الوثائق الأرشيفية في مركز إكس أون بروفانس بمرسيليا وهو عبارة عن أرشيف ميكروفيلم الموضوع تحت تصرف الباحثين.

هذه الوثائق الأرشيفية التي وإن كانت نادرة بالنسبة للقرن السادس عشر، وقليلة بالنسبة للقرن السابع عشر، إلا أنها تتميز بالكثرة والتنوع بالنسبة للقرن

الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، مما دفع بعض الباحثين إلى اعتبارها المصدر الوحيد لأواخر العهد العثماني بالجزائر<sup>(11)</sup>.

وبغض النظر عن هذا فإن الأهمية الحقيقية للوثائق الأرشيفية تكمن في طبيعة المادة التي تحتويها وتنوع الموضوعات التي تتصل بها، والمجالات التي تتطرق لها، فهي فضلا عن كونها تهتم الحياة السياسية والمسائل الإدارية والقضايا الشرعية، وتمس من قريب أو بعيد أوجه الحياة الاجتماعية والثقافية للجزائر العثمانية، فإننا نجد تلك الوثائق تتركز بصفة خاصة حول النشاطات الاقتصادية سعيا منا لأخذ فكرة عامة ومبسطة عن مضمون تلك الوثائق وطبيعة مادتها.

- Pellissier. Raynaud (De). Annales Algériennes. Paris 1845. 1/74-75.
- التميمي عبد الجليل، فهرس الدفاتر العربية التركية بالجزائر، المجلة التاريخية المغربية، عدد 2، ص 138.
- Esquer.G. Les archives algériennes et les sources de l'histoire de la conquête. Annales universitaire d'Alger. n°3. 1912. p325.
- Deuy.J. A propos du fonds arabe-Turc des archives du gouvernement de l'Algérie. Revue Africaine. n°62. 1921. p370.

أهم الأرشيفات الفرنسية التي لها علاقة بالفترة العثمانية:

- الأرشيف الوطني بباريس A NP مجموعة ف Série F80
- أرشيف وزراء الحرب بفرنسا Série H AMG
- أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا ACM (ملف الجزائر قبل 1830)
- أرشيف ماوراء البحار بأكس أون بروفانس AOM (ملف الجزائر مجموعات ABCD).

إلى جانب:

- خزانة قصر توبكاي سراي (تركيا)
- خزانة الباب العالي الرئيسي.
- خزانة وزارة الخارجية التركية.

<sup>11</sup> - Mantran.R, les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie, Annuaire de l'Afrique du nord, CNRS, Aix En Provence, 1962, p247.

- وثائق دار الباي (تونس) - وثائق عابدين (القاهرة).
- وثائق الخزنة الملكية بالرباط.
- وثائق السمانكاس (مدريد).
- وثائق مالطة والفاتيكان.
- وثائق المدن الإيطالية التالية (نابولي، جنوي، ليفورنو، باليرمو).

وبالنسبة للأرشيف المتعلق بتاريخ الجزائر الحديث ونقصد به العهد العثماني في السنوات الأخيرة التي سبقت عملية الاحتلال العسكري الفرنسي للجزائر، فهناك أرشيف سري موجود بمكتبة الفاتيكان مكتوب باللغتين الفرنسية والإيطالية هام جدا خاصة ما تعلق بالعلاقات بين الدولة البابوية والدولة الجزائرية على عهد آخر داي وهو الداي حسين، والعلاقات السلمية والحربية بين البابوية والبحرية الجزائرية والمعاهدات التي أبرمت بين الأيالة الجزائرية والدويلات الإيطالية<sup>(12)</sup>، وهذا الكتاب المذكور أدناه مهم لكنه يحتوي على جملة من الأرشيفات المكتوبة باللغة الأصلية والمترجمة إلى اللغة الفرنسية، وهنا لابد أن نتوقف على ضرورة بحث مشروع أراه جدير بالتجسيد ألا وهو جمع كل الأرشيف المكتوب باللغة الإيطالية والموجود بمكتبة الفاتيكان وبمدن إيطالية أخرى، وضرورة ترجمتها لأنها تمكننا من معرفة تاريخنا الحديث العثماني وما يتعلق بالحملة الفرنسية ثم بعد الاحتلال الفرنسي.

إضافة إلى مجموعة الأرشيفات المتعلقة بالحملة الفرنسية واحتلال الجزائر العاصمة والتجاوزات التي وقعت عشية سقوط العاصمة وما صاحب العملية العسكرية من تجاوزات مثل النهب والسرقه مثل التقرير الذي أعده بيتري حول نهب وسرقه خزائن القصبة بتاريخ 15 جويلية 1852 (Archives nationales). BB18/1353-1<sup>(13)</sup> أو الملخص للمداخلة للأستاذ مارسيل إيميرت (Marcel Emerit)

<sup>12</sup> - Vaglieri Veccia (c), les archives secrètes du Vatican sur la conquête de l'Algérie, Alger, 2012, p37.

<sup>13</sup> - Laura Veccia Vaglieri, les archives secrètes du Vatican sur la conquête de l'Algérie, pour les troupes Françaises de charles X en 1830 ou la croisade méconnue -Préface d'Emmanuel Bataille.

حول كنوز القصبة (papers Marcel , Archives d'outre-Mer, Aix en Provence) Emerit (159 APOM/3) (14)، كل هذه المعلومات الواردة في الكتاب: Pean (Pierre), Main Basse sur Alger, Enquête sur un pillage, Juillet 1830, Ed Chihab, Paris, Plon 2005.

كل هذا فضلا عن الأرشيف السويدي وإيراده لتاريخ الدول المغاربية ومنها الجزائر بداية من القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. وكانت أولى الاهتمامات بتاريخ الجزائر خاصة والشمال الإفريقي عموما بالماريشال السويدي كرويفر الذي ألف كتاب تحت عنوان "علاقات السويد بدول البرابرة في إفريقيا" سنة 1856، وكانت أول معاهدة صداقة وسلام وتجارة تعقدها السويد مع الجزائر سنة 1729 وذلك لضمان حرية مرور السفن السويدية عبر البحر المتوسط ثم تلتها معاهدات واتفاقيات أخرى.

وهذه التقارير التي أعدها القناصل السويديون الذين تمركزوا في الجزائر العاصمة وتونس والمغرب، كونت عبر الزمن (القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر) آلاف الأرشيف الموجود حاليا في خزائن الأرشيف السويدي بستوكهولم (15).

ومن ثمة ضرورة معرفة اللغة السويدية وإتقانها لترجمة آلاف الوثائق الأرشيفية السويدية لاستقراء الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التجارية للجزائر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي عملية تتطلب جيش من المؤرخين المختصين بالفترة والمترجمين وذلك كله في ورشة تتكون من مختصين لإعادة كتابة تاريخ تلك الفترة ومعرفة ملابسات ظروف الاحتلال الفرنسي للجزائر وموقف كل من البابوية في إيطاليا ومملكة السويد من تلكم الأحداث التاريخية.

### المراجع:

- Laura Vecchia Vaglieri. les archives secrètes du Vatican sur la conquête de l'Algérie. pour les troupes Françaises de charles X en 1830 ou la croisade méconnue -Préface d'Emmanuel Bataille.

<sup>14</sup> - Péan (Pierre), Main basse sur Alger, Enquête sur un pillage juillet 1830, Plon, paris, 2004.

<sup>15</sup> - Desfemilles (P), Scandinaves et Barbaresques à la fin de l'ancien régime, in , les Cahiers de Tunisie, 3, 1956, pp197-219.

- Péan (Pierre). Main basse sur Alger. Enquête sur un pillage juillet 1830. Plon. paris. 2004.
- Beldicean (N). les Actes des premiers sultans conservés. dans les manuscrits turcs de la bibliothèque nationale à Paris. Paris. montour ex co la haye. 1959. Bibliothèque nationale de Paris. Fonds turcs.
- Desfemilles (P). Scandinaves et Barbaresques à la fin de l'ancien régime. in . les Cahiers de Tunisie. 3. 1956.
- Mantran.R. les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie. Annuaire de l'Afrique du nord. CNRS. Aix En Provence. 1962.
- المنور مروش: القرصنة، الأساطير والواقع جزاءن، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.